بسم الله الرحمن الرحيم

# ( براءة ابن عربي من التديّن العاطفي العالَمي الهلامي )

-مقدمة-

لعلّه لا يوجد بيت شعر أو جملة عربية تسببت بإشكالات وانحرافات من المسلمين وغير المسلمين ولا زالت مثل قول الشيخ ابن عربي في ديوانه ترجمان الأشواق:

أدينُ بدين الحب أنّى توجّهت    ركائبه فالحبُ ديني وإيماني

من المسلمين من يعتبر هذا البيت دليلاً على كفر ابن عربي بالإسلام، ومن غير المسلمين من يعتبر هذا البيت سبباً لتعظيم ابن عربي وكونه عارفاً روحانياً عالمي يقول بالتساوي بين الأديان وأن الحب هو الدين الحق. أما أنا فأقول أن كلاهما مخطئ خطأ فادحاً لا وجه له لا من قريب ولا من بعيد ولا أستطيع حتى أن أجعله في خانة الرأي المحترم المبني على الاجتهاد. وسبب ذلك بسيط: تفسير هذا البيت وارد عن ابن عربي نفسه. والتفسير نصّ صريح لا يحتاج حتى إلى مستوى فوق عادي من الفهم لإدراكه، بل لعله من أبسط نصوص ابن عربي. بل، وهذا من العجائب، نصّ ابن عربي في تفسير بيته هذا اشتمل

على مقاطع كل مقطع منها يجيب عن شبهة من الشبهات التي يعتقد بها ذلك الفريق من المسلمين وغير المسلمين، وهذه عجيبة عند مَن لا يعرف حفظ الله لأوليائه. فتعالوا ننظر، ونريد تقسيم النصّ إلى أجوبة عن أسئلة محتملة هي التي جعلت ذلك الفريق يكفّر والآخر يعظّم ابن عربي وكلاهما بالباطل ولقصد باطل.

...-...

السؤال الأول: هل دين الحب في البيت يخالف دين الإسلام الذي في القرءان والسنّة؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه: {يشير إلى قوله "فاتّبعوني يحببكم الله" فلهذا سمّاه دين الحب ودان به}.

أقول: إذن كلمة "دين الحب" مأخوذة من نصّ القرءان، من قوله "فاتبعوني يحببكم الله". وهذا بحد ذاته كاف لنسف أساس التكفير والتعظيم بالباطل. لأن المكفّر يعتقد بأن الشيخ يقصد شيئاً غير القرءان والإسلام، والحق أن الشيخ أخذ التسمية من نفس القرءان، فقوله "دين" مأخوذ من "فاتبعوني" فالدين هو الانقياد كما قال الشيخ في الفصوص وكما هو معروف، وقوله "الحب" مأخوذ من "يحببكم الله" فالمقصود بدين الحب هو اتباع محمد رسول الله الاتباع الكامل الشامل والذي هو سبب لتحصيل أثر حب الله للمتّبع، فهو الدين الذي يؤدي الانقياد له إلى حصول حب الله الخاص للعبد. أما المُعظِّم من غير المسلمين فإنه ظن أن ابن عربي يقول بالحب على النمط العاطفي أو الهلامي، بينما الشيخ يقصد الحب الناتج عن اتباع محمد رسول الله خاصّة، فلا مكان في دين الحب الذي يتحدّث عنه ابن عربي لغير المسلمين بل لخواص المسلمين كما سنرى في

فقرة قادمة إن شاء الله. أوّل تعليق للشيخ يتعلّق بتفسير سبب تسميته دين الحب، وسبحان الله هذا أكبر ما غلط فيه الفريقان من المسلمين وغير المسلمين، ونصّ الشيخ {فلهذا سمّاه دين الحب ودان به} لا مزيد عليه، بل والأعجب أنه افتتح التعليق بذكر آية قرآنية وربط بيته الشعري بها، بمعنى أن بيت الشعر تابع لآية الذكر وكل من يفهم البيت بنحو لا يؤول إلى الآية التي ذكرها فهو مخطئ ومفتري على الشيخ.

...-...

السؤال الثاني: هل دين الحب يخالف دين التكليفات الشرعية؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه: {ليتلقّى تكليفات محبوبه بالقبول والرضى والمحبة ورفع المشقة والكلفة فيها بأي وجه كانت ولذا قال "أنى توجّهت" أي أية سلكت مما يرضي ولا يرضي فيها كلها مرضية عندنا}

أقول: الفريق الإسلامي اعتبر "دين الحب" نوعاً من الانحلال عن التكليفات الشرعية فوقع في الشيخ بسبب اعتقاده الفاسد هذا. الفريق غير الإسلامي مثل الفريق الإسلامي، تشابهت قلوبهم، لكنهم لما كانوا إما من الملاحدة أو أشباه الملاحدة أو من المنحلّين من المسيحيين الذين لا يرون التقيّد بالأحكام الشرعية ويعتقدون بأن الإله "حب" و "روح" ويعتبرون هذا مضادة للقانون الشرعي والمظهر العملي الجسماني للدين والتديّن، أيضاً أحبّوا ابن عربي لهذا البيت الشعري ظناً بأنه يقصد بدين الحب ديناً خالياً من التكليفات الشرعية. هذا ضلال الفريقين. فما هو الواقع؟ الواقع أن ابن عربي من أشدّ المتمسّكين بالتكليفات الشرعية، بل يبلغ تمسّكه بها درجة "التعصّب" و التشديد في الالتزام إلى درجة لا يطيقها حتى أكثر الذين ينكرون عليه بل لعل كل الذين ينكرون عليه لديهم من التوسع والترخص والتساهل والأخذ بما يخرج عن

حرفية النصوص الشرعية. وهذا ظاهر من كتب الشيخ الأخرى خصوصاً الفتوحات المكية. لكن يكفينا هنا هذا النصّ الذي ربطه بقضية دين الحب. ولاحظ أوّل جملة افتتح بها هذا الجزء: {ليتلقى تكليفات محبوبه} إذن التكليفات ثابتة وصاحب دين الحبّ يعلم أن لمحبوبه تكليفات وليس تكليفاً واحداً بل تكليفات كثيرة وهي الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة وخصوصاً الظاهرة كالأحكام الفقهية. فما الفرق إذن بين صاحب دين الحب وغيره فيما يتعلق بالتكليفات؟ الفرق أن صاحب دين الحبّ يرى مصدر التكليفات {محبوبه} وليس مجرّد جبّار يأمره وينهاه قهراً، هذا الفرق الأول. الفرق الثاني أن صاحب دين الحب يتلقّى هذه التكليفات {بالقبول} فلا ينكر منها شيئاً، {والرضى} فلا يسخط ويتمنّى غير ما هي عليه، {والمحبة} فيتلذذ بها ويميل إليها بقلبه ولا يفعلها بجسمه فقط ويراها عين مُراده لا غير مراده، {ورفع المشقة والكلفة} ففي الظاهر والباطن لديه تسليم كامل بالأمر خلافاً لغير صاحب دين الحب والذي وإن قام بالتكليفات الشرعية إلا أنه يعتبر أن مراده شيء ومراد الله شيء آخر وهو يعاني ويتكلّف ويشعر بالمشقة بسبب محاولته جبذ ودفع نفسه للقيام بالأوامر الربانية، أما صاحب دين الحب فإن هواه تبع لما جاء به النبي كما قال النبي فهو المؤمن حقاً لأنه عرف روح الشريعة ووجدها عين روحه وما يناسب نفسه الزكية، فالفرق إذن ما بين صاحب دين الحب

والمتدين العادي هو في مدى قبوله ونوعية ذلك القبول ومدى الالتزام والاتحاد ظاهراً وباطناً بالشريعة. الفرق الثالث أن صاحب دين الحب يأخذ بكل أوامر الشريعة ولا يؤمن ببعضها ويكفر ببعضها أو يميل لبعضها وينكر بعضها، كما قال الشيخ {بأي وجه كانت، ولذا قال "أنى توجهت" أي أية سلكت مما يرضي ولا يرضي فهي كلها مرضية عندنا}، فنحن نجد في القرءان أن بعض المؤمنين من أصحاب النبي كانوا كما وصفهم الله "يجادلونك في الحق بعدما تبيّن كأنما يساقون إلى الموت" أو "وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون" أو كما قال عن المنافقين مثلاً "غرّ هؤلاء دينهم" و "يودون لو أنهم بادون في الأعراب" ونحو ذلك من مظاهر عدم الرضى بالأمر الإلهي والنبوي، لكن ابن عربي يقول هنا أن صاحب دين الحب لا يوجد لدين إلا الرضى بكل أمر لله ورسوله كائناً ما كان موضوع الأمر وصورته. النتيجة من هذا كلّه؟ صاحب دين الحب هو أكثر الناس تمسّكاً قلباً وقالباً وروحاً ونفساً وإرادةً وجسماً بأمر الله ورسوله والتزاماً بالشريعة بكل تفاصيلها بدون أدنى تردد ومعارضة، فالحب هو العبودية الكاملة لله والطاعة لرسوله. وهذا ينقض أساس اعتقاد الفريقين المسلم وغير المسلم المتوهم انحلال دين الحب عن تكليفات الشريعة المحمدية.

...-...

السؤال الثالث: هل دين الحب الذي تحدّث عنه ابن عربي أمر شائع يسع كل الناس على اختلاف أديانهم وطبقاتهم لأنه الدين العالَمي الذي يعلو على بقية الأديان ومنها الإسلام المحمدي؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه: {وقوله "فالحب ديني وإيماني" أي ما ثمّ دين أعلى من دين قام على المحبة والشوق لمن أدين له به وأمر به على غيب، وهذا مخصوص بالمحمديين}

أقول: إذن قول ابن عربي "دين الحب" ليس مساواة بين الأديان، كما يعتقد المكفّر والمعظّم على السواء، أيضاً تشابهت قلوبهم على اختلاف صورتهم. بل هو نوع آخر من التمييز ما بين الأديان. لأن الشيخ كتب {ما ثمّ دين أعلى من دين قام على} فهو لا يساوي بين الأديان بل يبيّن أن بينها ما هو أعلى من بعض، ودين الحب هو أعلى دين ممكن. لكن هل دين الحب هذا شيء غير الإسلام المحمدي؟ كتب الشيخ {وهذا مخصوص بالمحمديين} وهذا نصّ كما ترى ليس بعده نص. دين الحب أمر مخصوص بالمحمديين، فمن ينكر سيدنا محمد كغير المسلمين لا يمكن أن يكون لهم نصيب في دين الحب الذي يشير إليه ابن عربي، لا من قريب ولا من بعيد، والسبب واضح من البداية لأنه ربطه بقول

النبي عن قول الله "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" فالذي لا يتبع محمداً رسول الله صاحب القرءان لا نصيب له في ما يتحدث عنه ابن عربي، ثم أضاف إلى هذا الشرح ما قاله هنا {وهذا مخصوص بالمحمديين} فَمن عمم ما خصصه الشيخ فهو يتحدّث عن هواه وليس عن كلام الشيخ، ويشرح أفكاره لا أفكار الشيخ. أول شرط لدخول الشيخ في المحمديين هو الإيمان بمحمد، وهذا بديهي، فلا يمكن لا نصاً ولا روحاً أن يقال بأن شخصاً يعتقد بكذب سيدنا محمد وافترائه على الله كغير المسلمين عموماً يمكن أن يُعتبر تحت أي مقياس من "المحمديين" بتعريف الشيخ ابن عربي لذلك بل وحتى بالتعريف اللغوي العربي لذلك. هذا الشرط البديهي يكفي لإخراج ما يزعمه المكفّر والمعظّم بالباطل من الفريقين الإسلامي وغير الإسلامي، لأن الفريق الإسلامي اعتقد بأن دين الحب يسع غير المسلمين والفريق غير الإسلامي اعتقد بأنه يسعه إنكار محمد والدخول في دين الحب الذي أشار إليه ابن عربي والمخصوص بالمحمديين. كلاهما يقول بهواه ويفتري على ابن عربي.

...-...

السؤال الرابع: هل دين الحب بلا نبي ورسول؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه: {وهذا مخصوص بالمحمديين لأن محمداً صلى الله عليه وسلم له من بين سائر الأنبياء مقام المحبة}.

أقول: فدين الحب مخصوص بالمحمديين الذين رأسهم والذي باتباعه صاروا أهلاً له هو محمد صلى الله عليه وسلم النبي. فهو دين مبني على النبوة، وليس ديناً إلحادياً كفرياً إن شئت كما يشتهي أن يدعي عليه غير المسلمين عموماً.

السؤال الخامس: هل في كلام ابن عربي القول بتساوي محمد مع بقية الأنبياء والروحانيين في المقامات الإلهية؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه {لأن محمد صلى الله عليه وسلم له من بين سائر الأنبياء مقام المحبة بكمالها مع أنه صفي ونجي وخليل وغير ذلك من معاني مقامات الأنبياء وزاد عليهم أن الله اتخذه حبيباً أي مُحبّاً محبوباً}

أقول: كلام الشيخ صريح بأن محمد له جميع معاني مقامات الأنبياء كعيسى وموسى وإبراهيم ونوح وغيرهم من الأنبياء، لكن له مقام زائد على ذلك وهو كمال المحبة واتخاذ الله إياه حبيباً. بالتالي، في دين الحب محمد هو المقدّم والرأس والجامع لمعاني المقامات وزيادة. وفي هذا رد على غير المسلمين الذين يزعمون بأن يسوع أو غيره لهم مقام المحبة الكاملة أو له العلو التام في ميدان الحب الإلهي والمعرفة والقرب الإلهي، فضلاً عن أن فيه رد على مَن يزعم تساوي محمد مع باقي الأنبياء والروحانيين عموماً. مَن كفر بهذا فعليه كفره، لكن القدر المقطوع به أن هذا معنى كلام ابن عربي الواضح البسيط جداً.

...-...

السؤال السادس: هل للدخول في دين الحب طريق غير طريق اتباع محمد؟

جواب ابن عربي بالنفي. هذا نصّه: {وورثته على منهاجه}

أقول: فمنهاج محمد موجود بيننا، وهو في كتاب الله والسنّة. وورثة محمد على منهاجه في أمر دين الحب. فوصفهم مرّة بالمحمديين ومرّة بورثة محمد، ولم يعرّفهم بأي تعريف آخر غير نسبتهم إلى محمد، وجعل الحب الكامل وصفاً خاصاً بمحمد. بالتالي يمكن القول بأن دين الحب الذي قصده محمد ابن عربي هو دين محمد النبي.

...-...

## -الخاتمة-

آذى بعض المسلمين الشيخ ابن عربي في حياته وبعد مماته لا زالوا يؤذونه. وآذى غير المسلمين وهم أشدّ المؤذين للشيخ في هذا الزمان بتحريف تعاليمه لجعلها نوعاً من الحب العاطفي الخالي من اتباع نبينا محمد والقرءان والشريعة، وهؤلاء هم الذين رأيتهم يعبثون في مسجد الشيخ حين رأيته في واقعة في المنام وكان الشيخ متأذياً بسببهم. اللطيف في الأمر أن المؤذين من المسلمين وغير المسلمين قد اجتمعوا في نقطة واحدة هي نقطة بيت {أدين بدين الحب أنّى توجّهت - ركائبه فالحب ديني وإيماني} وقد رأينا أن كلاهما اعتقد نفس الرأي وخرجا بنتيجتين متضادتين، ورأيهم مردود بنفس كلام الشيخ الذي يكفي نقله لعقله وحكايته لتفسيره وذكره لبيان فكره. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

.....................................................................